يتمتع المكان بحضور ملحوظ في رواية المكلا للقاص والروائي اليمني صالح باعامر يتجلي هذا الحضور منذ العتبات النصية الاولى فعنوان الرواية مثلا (المكلا) لفظ مفرد علم جاء مجردا عن السوابق واللواحق التي قد تصرف دلالته إلى نحو من الانحاء مثل : ناس المكلا أو يحدث في المكلا أو مكلا أيام زمان.. الخ مما يقصر اللفظ على الاشارة إلى المكلا المكان المدينة اليمنية المعروفة مسقط رأس الكاتب ومحل إقامته .

كما يسبق عنصر المكان العنصرين الآخرين (الانسان والاحباب) في اهداء الكاتب :(الاهداء إلى المكلا المكان والانسان والاحباب) ناهيك عن التجليات الأخرى للمكان على امتداد مساحة الخطاب الروائي .

وعلى الرغم من أهمية المكان كمكون سردي وعنصر هام في الخطاب الروائي عموما لا يقل أهمية عن العناصر والمكونات الاخرى إلا انه لم ينل حظه من عناية واهتمام الدارسين - على الصعيدين العالمي والعربي - شأن المكونات السردية الاخرى في مرحلة متأخرة نسبيا وتحديدا منذ سبعينات القرن المنصرم حيث التفتت السرديات إلى هذه الثغرة وسعت إلى تداركها بالبحث عن تحليل تشكيلات المكان والاهتمام بنظام اشتغاله واساسا بالصلات التي تجمعه بالشخوص والازمنة والرؤيات وباقي عناصر البناء الروائي (٢) .

خالد يحيى الاهدل

بناء المكان في رواية المكلا مقاربة للفضاء الروائي

أما على الساحة الادبية اليمنية فعلى الرغم من ظهور بعض الدراسات السردية خلال السنوات القليلة الماضية تناولت بعض جوانب الخطاب السردي اليمني إلا ان هذه الدراسات – على قلتها – لم تقف عند المكان بل صرفت وجهها واهتمامها إلى المكونات والقضايا السردية الاخرى لتبقى مقاربات البنية المكانية والفضاء الروائي في الابداع السردي اليمني المعاصر غائبة عن خطابنا النقدي حتى الآن .

لذلك فإن هذه الورقة وهي تحاول الإسهام في سد هذا الفراغ القائم في الخطاب النقدي اليمني فإنها في الوقت نفسه تسعى إلى مقاربة الفضاء الروائي في رواية المكلا في تجلياته وتمظهراته المختلفة بدءا بفضاء النص أو الفضاء الطباعي أي فضاء الصفحة والكتاب بمجمله والذي يعتبر المكان المادي الوحيد الموجود في الرواية حيث يجري اللقاء بين وعي الكاتب ووعي القارئ وانتهاء بالفضاء الجغرافي في تشكلاته وعلاقته بالشخصية الرئيسية في الرواية .

(٢)

تقع الرواية الكتاب في ١٢٩ صفة من القطع الصغير شغلت الست الصفحات الاولى منها الاغلفة الداخلية والاهداء والبياض اما نص الرواية الذي تمدد في ١٢٣ صفحة فقد توزع على ثمان فقرات رئيسية تتفاوت فيما بينها من حيث المساحة والحيز الذي شغلته كل فقرة من هذه الفقرات وذلك على النحو الآتي :

الفقرة الاولى: من ص ٧ إلى ص ٢٠ = ١٤ صفحة
الثانية : من ص ٢١ إلى ص٢٨ =٨ صفحات
الرابعة : من ص ٣٦ إلى ص ٤٧ = ١٢ صفحة
الخامسة من ص ٤٨ إلى ص ٧٢= ٢٥ صفحة
السادسة : من ص ٧٣ إلى ص ٨٩ = ١٧ صفحة
السابعة : من ٩٠ إلى ص ١٠١ =١٢ صفحة
الثامنة : من ص ١٠٢ إلى ص ١٢٩ = ٢٨ صفحة
مجموع صفحات النص = ١٢٣ صفحة

اما اهم علامات الترقيم التي استخدمها الكاتب داخل فضاء نص الرواية فهي الاقواس المزدوجة لتأطير مقاطع الاسترجاع الفلاش باك ومقاطع الاغاني المقتبسة والنقاط الافقية للدلالة على مواضع السكوت في الحوارات اضافة إلى علاقات الاستفهام والتعجب .

يتشكل عالم الرواية من خلال راو مشارك يضطلع بمهمة صناعة الأحداث والدفع بها إلى الأمام وفي الوقت نفسه ينهض بمهمة السرد وتقديم عالم الرواية إلى المتلقي فيتوحد الراوي بالشخصية الرئيسية داخل الخطاب .

وبالتالي تتطرد أحداث الرواية وتتكشف عوالمها من خلال منظور هذه الشخصية الذاتي المتمثل في إدراكها للعالم المحيط بها دون الخروج عن دائرة هذا الوعي على امتداد مساحة الخطاب الروائي ومن خلال هذا الوعي ايضا تشكل رؤية داخلية تهيمن على مجمل عناصر البناء الروائي ومنها المكان

ولما كان منظور السرد هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته على حد قول فرانسوا روسم (٤) ولأن مكونات البنية السردية في رواية (المكلا تنبثق كما اسلفنا – من خلال تطور ذاتي ورؤية داخلية متقطعة لا تتسع لأكثر مما تراه عيون الشخصية الرئيسية ولا لما يقع خارج وعيها فقد كان من الطبيعي ان يتبدى المكان في الرواية مجزأ ومفككا وليس على نحو موحد وشمولي بانورامي كالمكان المنبثق من خلال رؤية خارجية شمولية .

ولهذا السبب تكاد تخلو الواية من الكتل الوصفية او الوصف/اللوحة بمفهومه البلزاكي وبدلا عن المقاطع الوصفية الطويلة نجد الوصف يتشظى إلى اشارات ونتف تتناثر على مساحة الخطاب الروائي.

وبعبارة أخرى : نلاحظ اختفاء الوصف المستقصي لكل مفردات وجزئيات المكان وفي مقابل ذلك تقدم الرواية وصفا مؤطرا برؤية داخلية يقوم ببناء مكان موح ولا يستقصي كل أجزاء ملامح المكان بصورة تقريرية تصنيفية بل يلجأ إلى الايحاء والتلميح والترميز كقوله مثلا : «الجبل لم يزل مشرئبا وغير مكترث لما يحدث ولانه جبل لم يجرؤ احد ان يطال قمته فالذي يود ان يقضي منه وطراً يأتيه متخفيا يجثو تحت اقدامه وينخر فيه بآلته ليأخذ ما يريد ويذهب .. ويظل الجبل جبلا متجذرا في الاراضي مهابا شامخا في السماء معانقا للكبرياء، نتأمل هذه المفارقة فتألم حين نرى اقتطاع الاحجار منه التي ينقلها أولئك إلى الشاطئ ليصنعوا جبلا بدون أسنان بدون أذرع وبدون رأس وبدون أرجل جبلا خانعا ذاعنا مستسلما للاقدام التي تدوسه بعد ان داس أصحابها ذوقهم وعاطفتهم وعشقهم للجبل والبحر وحولوا تطلعهم إلى الأحجار التي غدرت موطنها وشكلت حاجزا بيننا وبين البحر»، أو كقوله «الآليات تستبيح الرمل المتلألئ، تدفن الكثبان تعيق انسيابات البحر ..» (٦) ففي هذين المقطعين يرصد الروائي من خلال الوصف – أشكال وصور التغيير السلبي أو التشويه والتدمير الذي طال المكان لكن الوصف هنا لا يقرر حالة مجردة أو يؤدي وظيفة تزيينيه بل انه يقوم باجتلاء رؤية الشخصية للواقع المحيط بها ويكشف حالتها النفسية من خلال ملامح المكان .

فالمكان في الرواية نتيجة انبثاقة من رؤية داخلية لا يأتي مستقلا عن وعي وإدراك الشخصية الرئيسية «ذات صباح ذهبت إلى الشاطئ متوهما بانني سأطال مبتغاي مهما اعترضتني من عوائق وطأت الاحجار المنتشرة مكرها وكان الاشباع بالقرف عندما تبينت ان معالم قد انمحت فليس صخري التي طمرت بالاحجار بل ايضا الصخرات التي كان يعتليها هواة الصيد بل كان الامدادات الصخرية والرملية» (٧) فالمكان في هذا المقطع وغيره لا يتجلى كيانا مستقلا بل نراه من خلال وعي الشخصية وإحساسها وتفاعلها معه .

(٤)

يشكل المنزل الذي يقطنه بطل الرواية مع أسرته البؤرة المكانية التي تنطلق منها الشخصية الرئيسية إلى الاماكن الأخرى في الرواية .

وهو مكان له وظيفة بنائية ودلالية مزدوجة فهو من ناحية ملاذ آمن وغالبا ما شكل الخروج منه إلى اماكن اخرى ازمة وخطرا على الشخصية الرئيسية (عدن – السجن ، العمارة التي احتجز فيها ..الخ) وهو من ناحية اخرى مؤقت مستأجر ويوشك على الانتزاع من سكنة بقوة القانون حكم المحكمة) وهو ما يشكل جوهر الأزمة النفسية والاجتماعية لبطل الرواية الذي لا يطمح إلى اكثر من منزل يستقر فيه هو واسرته (كل ما اريده سكنا مناسبا قريبا من الخدمات وبإيجار رخيص) (٨) .

أما الأماكن الأخرى في الرواية فمعظمها يخضع للاستقطاب في مجموعتين من الثنائيات اولاهما ثنائية الأمن الخطر : فهناك المكلا عدن) حيث المكلا الامنة في مقابل عدن حرب ٨٦م ليتني لم اغادر المكلا في ذلك الصباح لا ادري لماذا قررت الذهاب إلى عدن (٩) وهناك المنزل العمارة وهناك الشاطئ / السجن) حيث اقتاده رفيق الامس ورجل الامن الحالي (سعيد) من الشاطئ الامن إلى سجن (المنورة) .. إلى آخر هذه الثنائية اما الثنائية الضدية الأخرى التي تنتظم المكان في الرواية فهي ثنائية (المفتوح (المغلق) حيث تحفل الرواية بالكثير من الأماكن المفتوحة (المقهى / الشاطئ الشارع المكتب .. الخ .. لكن الملاحظ أن هذه الأماكن المغلقة في الرواية المنزل السجن الشقة في عدن، العمارة التي احتجز فيها»، السيارة التي اختطف فيها . الخ) واغلب هذه الاماكن هي أماكن إقامة قسرية اضطرارية وهو ما يجسد مدى الأزمة التي تعانيها الشخصية الرئيسية على امتداد مساحة المحكي الأمر الذي يدفع بهذه الشخصية أحيانا إلى أحداث فتحة او اختراق تخييلي في محاولة منها للتخفيف من قبضة وسطوة هذه الأماكن المغلقة فمثلا أثناء وجوده في الزنزانة وبعد ان قدم له السجان وجبة الغذاء المقرفة في الطبق البلاستيكي دون ان تمتد يدي إليه فتراءت لي مائدة الغذاء التي اعتدت تناولها في منزلي وانا اتحلق حولها مع فوزية..» ((١٠) ولأن المكان (لا يتشكل الا باختراق الابطال له» (١١) فإننا نلاحظ أمرا يتعلق بطبيعة ظهور بعض الامكنة في الرواية فبينما نجد الخطاب الروائي يحفل، بذكر الكثير من الشوارع والأحياء والأماكن المعروفة في (المكلا) وهي اماكن لا يتعدى حضورها في الخطاب مجرد التسمية لأنها لم تكن وعاء لاي حدث بل ان ظهورها الاسمي لم يكن اكثر من تجسيد للمرور العابر للشخصية خلالها (مرقت السيارة في شارع الديس ثم شعب البادية فبيت الحسيني، فحصن الغويزي ثم باكزنبور ثم مأوي بالخدمات .. قطعت السيارة التواءات المعاوص والسدد ثم جولة مسحة ٩ (١٢) نجد في المقابل احتفاء ودقة في رسم طوبرغرافية بعض الامكنة كالمكتب الذي كان يعمل فيه مع فوزية والذي يقع في قصر السلطان أطللت في ذلك الصباح من نافذة مكتبي الذي يعانق البحر من جهة الغرب وعلى الساحة من جهة الشرق ويتمدد أمامه سطح أبيض واسع من جهة الشمال اما من الجنوب الأحياء القديمة للمكلا وسوقها وشارعها الوحيد وتواجهني المكاتب الذي تقع في الجانب الاخر من سطح القصر ... الخ) (١٣).

٥- تشكل علاقة الشخصية الرئيسية بالمكان الثيمة الاساسية والبؤرة الدلالية التي تنطوي عليها الرواية وهي علاقة متأزمة تتمظهر في اكثر من صورة (اقفلت المذياع وفكرت في أزمتي .. ازمة السكن ازمة العوز حالتي النفسية بسبب ما يحدث فوق الشاطئ) (١٤) فهناك المنزل الذي يوشك أن يطرد منه بقوة القانون دون تعويض مادي او عقاري وانعدام القدرة المادية .

(العوز -) التي تمكنه من الحصول على سكن اخر وتزداد هذه الأزمة استفحالا وتدميرا لقواه النفسية حين يرى عملية السطو والاستيلاء على المساحات الشاسعة من اراضي المكلا من قبل القوى الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ومعظمهم من الذين لم يستطيعوا الصمود والمواجهة في لحظة من اللحظات فهربوا من المكلا (برا عبر الصحراء او عبر البحر سنوات لم تزد على العشر وعادوا تجارا ومستثمرين واطباء ومهندسين وقد كوفئ كثير منهم بالمناصب والترقيات وكرم بعضهم بشهادات التقدير والدروع والاوسمة وانا وأمثالي الذين ظللنا هنا لنكافأ بالاهمال والملاحقة والمطاردة والاتهام والسجن (والاختطاف) لقد بقي في المكلا المدينة التي عشقتها حتى الثمالة هذه العشيقة التي لا تموت هذه الحبيبة الاخذ منها احلى الكلام ومن اجلها اعيش في البراري في الصحاري في الجبال في الوديان.

أي حب أقدمه لك أي أخلاص اي لوعة اي عشق .. أي ؟ وتشبث بها حتى اخر لحظة رغم المضايقات والمنغصات ومع ذلك فقد اصبح لا يملك فيها شبرا واحدا ولا يملك الا زفرة الاسى والالم يطلقها مدوية شيدوا الفلل والقصور .. خذوا الارض .

بالكيلوهات والهكتارات واتركوا بقعة ارقص فوقها واغني أحلى الاغنيات) (١٧) اما الصورة الأخرى من صور علاقة الشخصية المتأزمة بالمكان فهي موقفه مما يحدث من تدمير وتشويه لجمال المكان خاصة الشاطئ متنفسة وملاذه الامن والهادئ ، وهو ما يؤرقه ويهز عاله النفسي (حالتي النفسية بسبب ما يحدث فوق الشاطئ) .

بالطبع هو ليس ضد التوسع العمراني والنهوض والازدهار الذي تعيشه مدينته وقد اكد هذا الموقف في أكثر من مكان من الرواية كقوله مثلا : استرقت النظر من احدى النوافذ التي منعت منها فبانت لي المنازل الجديدة التي دفعت (بويش) ان تلحق بعجلة النهوض العمراني الذي يعتمل في (فوه) وغيرها من مناطق المكلا ((١٨) لكنه ضد التدمير الذي يطال جمالية المكان (الاليات تستبيح الرمل المتلألئ، تدفن الكثبان تعيق انسياب البحر) (١٩) وان كنا نلاحظ انه يسعى احيانا إلى توظيف المكان رمزيا للتعبير عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في الواقع من حوله كقوله مثلا :

(بينما شمخت عمارة اسمنتية على المباني القديمة المجاورة)(٢٠) فبينما ترمز العمارة الاسمنتية الشامخة إلى القوى الاقتصادية والاجتماعية الجديدة تشير المباني القديمة إلى الذين بقوا في المكلا فتأثروا سلبا بالمرحلة السابقة ولم يستفيدوا من المرحلة الجديدة.

ومن هذا الباب ايضا – اي التوظيف الرمزي للمكان – مقارنته بين جبل المكلا المشرئب الشامخ والجبل الجديد المصنوع على الشاطئ الجبل الذاعن المستسلم للاقدام (٢١) وقد لعبت علاقة الشخصية الرئيسية بالمكان دورا ايجابيا فيكشف ملامح هذه الشخصية وبيان تركيبتها النفسية والذهنية والحالة الشعورية التي تعيشها .

فارتياده (للمسجد (اديت الصلاة في جامع البلاد) (٢٢) ورفضه لدعوة صديقته الأثيوبية لدخول احد البارات وتفضيله ان يذهب معها الى مطعم الفندق حيث احتست صديقته الجعة اما هو فأحتسى الشاي (٢٣) لاشك ان علاقة الشخصية ايجابا وسلبا بهذه الامكنة يكشف تدينها واستقامتها والتزامها الاخلاقي ، بل ان استغاثته بقبة الشيخ (يعقوب) وتوسله بقبر علوية) عند مروره بهذين المكانين مع مختطفيه يكشف مدى بساطة الشخصية وتشبعها الصوفي وغنى عالمها الروحي .

كما اسهمت علاقة الشخصية بالمكان ايضا في رصد التحولات الداخلية التي طرأت على الشخصية كهذا المقطع مثلا (لم ادر كيف وقعت عيني على مكتبتي التي هجرتها لاسابيع بعد ان استبدلت معظم كتبها السياسية باخرى ادبية ودينية) (٢٤).

فهجره لمكتبته اسابيع ينم عن انعدام الاستقرار النفسي والاجتماعي اما التحول في ملامح المكان والتغيير في موجوداته فهو لاشك يجسد تحولا اخر في قناعات الشخصية وتغييرا في موقفها الفكري والايديولوجي

٦- اخيرا : لا تدعي هذه الورقة المتعجلة رصد كل تشكلات البنية المكانية في رواية (المكلا) وحسبها الوقوف على الخطوط العريضة للموضوع لعل فرصة اخرى تواتي الباحث لقراءة ملامح المكان في أعمال الروائي والقاص المبدع الاستاذ صالح باعامر في القريب العاجل إن شاء الله.

قصة قصيرة

ضاع الكثير!!

أسماء المصري

ألقت (هناء) غطاءها الاسود بعد عودتها من زيارة إحدى صديقاتها.. جلست على حافة السرير، تنظر الى نفسها في المرآة، تحدق بشدة وقد بدأت بعض الافكار تتسلل الى عقلها، لقد بدأت تفكر..... وقلما يحدث ذلك.

انتفضت فجأة وهرعت تفتش عن والدتها العائدة من عرس مجاور:

- أمه.. أنا اشتي أقرا تيه السنة في الجامعة، قد كل صحباتي سجّلين.

- الجامعة!! مابش جامعة وماعبش قراية، قد انتي حلا.. اجلسي افتهني في البيت لاما يجي ابن الحلال.

كررت الطلب على مسامع والدها الذي كانت ردة فعله أعنف مما حسبت.

أذعنت.. ولم تستسلم، كانت تعبر عن رفضها بصمتها الكئيب، وكل ما زاد غيظها كسرت طبقا أو أتلفت شيئا في المنزل لكن أحدا لم يعرها أي اهتمام.

(كبر الصغار، وامتلأ البيت بالاحفاد، وعمّت الفوضى وضاقت الدار بأهلها.... وهي.. ما تزال صامته.. تكنس، تغسل وتطهو.. لم يتغير شيء، غير أن بعض التجاعيد راحت تزحف ببطء الى وجهها الجميل لتفسد شبابه ونظارته).

هذا مارأته في المرآة بعد اربعة عشر عاما. اتجهت نحو النافذة، ظلت تراقب المارين بعينين بائستين، فتحت أمها باب الغرفة، تناديها كي تجهز طعام الغداء، فلم تجبها.

- أيش فيش؟!.. ليه جالسة عند الطاقة.

تنهدت بحرقة ثم قالت:

- جالسة لا ما يجي ابن الحلال!!

همت أمها بالانصراف غير مبالية، لكنها توقفت، وصلتها الرسالة.. لكن متأخرة للغاية، عادت اليها لتضع راحتها على كتف هناء وتقول في حنان مصطنع:

- ولايهمش.. السنة تيه عتقري الجامعة، والله ما افلت ابوش اليوم إلا لاما يوافق.

- لا.. مابش داعي، لاتتعبي نفسش.

- الحقي تيه السنة قبل لاتضيع عليش.

- خلاص.. ضاع الكثير..، مابقي الا القليل.

كوكب الحب

علاء صمام

يحتفلون وحدهم في كوكب الحب
بيني وبينهم مسافات هائلة
انا وحدي أعانق أللحظة الحافلة
بالوعود
العالم ماعاد يتسعُ للفكرة المناهضة
يتسع للطفو فوق حبائل الاطراء
في كوكب الحب وردة صغيرة
ناعسةٌ واحدة
حفيف أقمارها أمنية الليل
لم يزل إشراقه يتدفق في صباها
الهوى مرتين
أعرف هذا الكوكب
قد تشربت فعلا معانيه
كل الاصدقاء سبقوني
إليه حاولوا الوصول
بأقل الخسائر....
إلا أنا لم أصل في اللحظة المناسبة
لازلت واقفا عند نفس
المسافة عند نقطة
الصفر
أنا مصباح منطفئ
مكسور
في وجعي يعيث
الحزن المتقوقع
وتلهث من خلفي
الاوجاع
أعرف هذا الكوكب
ياسيدتي
أعرف حتى الالوان
أعرف كل الاغصان
أنا عصفورٌ
والكوكب بستان
يفصلني عنه الليل
وملايين الاميال...
تفصلني عنه الاحزان
عن كوكب حب حدثني
العشاق.....
مابيني وبين الحب
سوى عمرٍ مطمورٍ
في صحراءِ الجدبِ
وآلام الانسان.

اعلان